فتنة المصطلحات

للشيخ :أبو قتادة الفلسطيني

- فك الله أسره - .

أما بعد :

من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً .

أيها الأحبة في الله : أساس بعثة أنبياء الله عز وجل جميعاً أنهم جاءوا من أجل تعبيد الناس لربهم،ومن أجل إخلاص هذه العبودية له،والإنسان أيها الإخوة الأحبة مفطورٌ أن يكون عبداً بفطرته، لا يستطيع لهذه الفطرة دفعاً،ولاعنها انفكاكاً .

الإنسان مفطورٌ بأن يكون عبداً:إما أن يكون عبداً لله عز وجل، وإما أن يكون عبداً لغيره.

والعبودية تقتضي التسليم المطلق لهذا الذي تعبده،

وتقتضي نبذ العبودية عن غيره،وهكذا هي عبودية هذا المسلم لله عز وجل، فإنها عبودية الله وحده جلّ في علاه لاشريك له في هذه العبودية،وعلى المرء أن يَكفُرَ بما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى،﴿وَلقدبعثنا .....

الطاغوت﴾ أعبدوا الله :أي وحِّدوه في العبادة،وحدوه فيما يَتَعبَّد الإنسان به من أعمال النسك القائمة على الحب،وعلى الخوف

وعلى الرَّجاء،وَحِّدوه بالطاعة والالتزام بأمره ونبذ الشرع سواه،وَحِّدوه في الحب، وحدوه في الخوف،وحدوه في الولاء،وحدوه في البراء،

واجتنبوا الطاغوت .

والعبارات القرآنية أيها الإخوة الأحبة لايمكن للمرء أن يفهم كتاب الله إلا من خلالها،ولابدّ أن يَعرف مدلولها، فحدود الشرع مبنية على فهم هذه الكلمات،والخلل في فهم هذه الكلمات بالمصائب والطّامات، ويثبت الخطأ على كتاب الله عز وجل،فإنّ عدم الفهم عن الله عز وجل في المصطلحات وفي الكلمات التي خاطبنا الله عز وجل بها يُفسد دين المرء ويُفسد عليه فهمه لكتابه،ثم

بعد ذلك يُفسد عليه عبادته لله سبحانه وتعالى،وأنتم تعلمون ما جَرَّ الخطأ والفساد في فهمِ كلمةِ الإيمانِ التي قالها الله في كتابهِ، ما جرَّ هذا الخطأ من فسادِ التصورات على هذه الأمَّة،فمنهم من غال فيها وأدخل فيها ما ليس منها أو جعل ما كان في مرتبةٍ دنيا جعله في المرتبة العُليا وكذلك العكس ما جَرَّ من الفتن،وما جَرَّ من الضَّلالات،وما جَرَّ هذا الفساد في فهمِ

هذه الكلمة الجليلة،أي الكلمة الشريفة،كلمةِ الإيمان،ما جَرَّ من الفساد في دين الله سبحانه وتعالى،إذ نشأت الفِرَق، وتنازعتِ الأمّة،وأدَّى فساد هذه الكلمة في تصوراتِ الناس إلى ترك الكثير من أمر الله سبحانه وتعالى،فأنتم ترون أن بعض الناس علَّق تلك الوعود الإلهية في كتابه على الإيمان،إذ مَا مِن وعدٍ في كتاب الله وهو مُعَلَّقٌ على الإيمان كقولِهِ :﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ وكقوله عز وجل :﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ هذه الوعود الإلهية مُعَلَّقةٌ بالإيمان،فإذا فسد تصورُ المرء لهذه الكلمة،فسدَ فَهْمُه للكتاب .

تعني تلك الوعود الجليلة أن يُعَلِّقَها على مجرَّد تَصوُّرِ قلبِهِ وتصديق في فؤاده على مجرَّد إقراره القلبي فقط،بما يخبره الله سبحانه وتعالى وبما يخبره به رسوله ﷺ.

وكذلك كلمة الطاغوت، وكذلك كلمة الشيطان، وكذلك كلمة العبادة، هذه الحدود وهذه الكلمات كلمات عظيمة تترتب عليها أحكام شرعية، كما تترتب عليها أحكام قدَريّة. أما الأحكام الشرعية فأن يكون الرجل مؤمنا له أحكام خاصة، وأن يكون الرجل كافرا له أحكام خاصة، وأن يكون الرجل

فاسقا له أحكام خاصة، وكذلك بقية الكلمات والحدود التي خاطبَنا الله ﷻ بها لها آثار في حكم الله ﷻ، وكذلك لها أحكام قدَرية كما رأينا فإن الله ﷻ علّق نصره على الإيمان، وهذا حكم قدري، أي أن يُنْزِل نصره على المؤمنين، فإذا جهِل الناس هذا المعنى لهذه الكلمة الجليلة رأوا خُلْفة قدَر اللهﷻ في وعده، يقولون نحن المؤمنون فأين نصر الله ﷻ، نحن قد آمنّا فأين هذه الوعود التي وعَدَنا الله ﷻ بها، فهذه أحكام قَدَرَية في الدنيا. وكذلك أحكام قدرية في الآخرة، فإن الله ﷻ علّق وعْد إدخال المرء جنّته بأن يكون مؤمناً، فإذا جهِل المرء كلمة الإيمان قال كما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحبّاؤه، أو قال: لن تمسَّنَا النار إلا أياما معدودة. فإذن هذه الألفاظ كلفظ الطاغوت مثلا هذا لفظ تتعلّق به أحكام شرعية، إذ يجب اجتنابه، ويجب اجتناب عابديه، ويجب مقاتلة جنوده، ويجب البراء منه، فحين يجهل المرء الطاغوتَ وما يدل عليه من حقائق ربما يكون جنديا من جنود الطاغوت وهو لا يعلم، وربما يدخل في طاعته وهو لا يَشْعُر، وإذا أدْخلَ في كلمة الطاغوت كذلك ما ليس منها ربما جرّه إلى عقائد فاسدة، كتكْفير الأمة، كمن رأى تكفير المقلِّدين في

الفروع تحت تسْميته، أي العلماء الذين قلّدوا تحت باب المذاهب يراهم هذا طواغيتَ، فيكفر من قلّدهم مثلا، وبالتالي يدخل في كلمة الطاغوت ما ليس منها. أو أن يُدْخل فيها بعض مراتبها في مراتبها العليا فيُلْحِق بها أحكاما عليها من غير أن تكون في الحقيقة في حكم الله ﷻ، فإذن أيها الإخوة الأحبّة إنه من العلم الذي جهلتْه الأمة هو علم الفهم عن اللهﷻ، وعلم تهذيب تلك العبارات نطق اللهﷻ وتكلم بها، وتكلم بها رسولهﷺ، والأمة جهلتْ بسببيْن:

أولهما: أن هذه الأمة قد ذهب عنها الكثير من فهم لغة العِزّ التي نزل القرآن بها، فإن هذا القرآن خاطب أصحاب النبي ﷺ بتلك اللغة التي يفقهونها ويعلمونها ويتحاورون بها، فقال تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا" وقال: "بلسان عربي مبين" وهذ ه الأمة دخل فيها دَخَن، ولَحْن، ودخل فيها العجمة، وفسدتْ لغتُها، من هنا يأتي اجتاث بعض المشايخ في التعامل مع بعض العبارات التي تشيع في الناس ولا يعرفون مدلولها، ولذلك يجب على طالب العلم ويجب على كل مسلم أن يتعامل مع كل فنّ بلغة أهله، وإلا جرّتْه إلى المصائب، فمثلا

كلمة المكلَّف إن لها مدلولا في لغة الفقه كما إن لها مدلولا آخر في كتب التوحيد، فإن المكلَّف مثلا في كتب الفقه شرطه أن يكون مسلما، كأن يقال شرط المصلِّي أن يكون مكلَّفا فإن شرطه الأول أن يكون مسلما، لكنّك لو قلْتَ كلمة المكلَّف في كتب التوحيد فإنها لا يشترط فيها إلا أن يكون عاقلا، إلا أن يكون المرء امرءا عاقلا يَفْهم ما يُخاطَب به، وليس شرطه الإسلام لأن التوحيد مخاطب به المسلم وغير المسلم، بخلاف الصلاة فإن المرء لا يقوم بها ولا يُلزَم بها إلا أن يُسلِم، فهذا لفظ اختلف معناه من باب إلى باب، وجهل الأمة بمدلول اللغة ومدلول عبارات القرآن وكلام الفقهاء يؤدِّي بهم إلى التّلَعُّب في عقولهم، من ذلك ما ترونه من كلمة (حربيّ) مثلا، وكلمة المدنيين وهو لفظ ما دام أنه لم يطلق في كتب الفقهاء فلا بد أن يكون معاصرا، فلو قلَّبْتَ كتب الفقه جميعا لتعرف أين هي كلمة المدنيين لا تجدها مثلا، فهي كلمة معاصرة ولا حرج من استخدامها، لكن الأَوْلى أن تخاطب الناس بكلمة الفقهاء ثم أن تبيّن معناها بما يفهمون، فكلمة المدنيّ نسبة لمدينة. ولو قلْتَ قرويّ فنسبة لقرية. وهذه كلمات لم يُعلِّق الشرع عليها

أحكاما أن يكون المرء مدنيا أو أن يكون قرويا أو أن يكون بدويا مثلا، فكذلك كلمة الحربي: اُنْظُروا إلى تلاعب بعض المشايخ فيها من المعاصرين، فإن كلمة الحربي في لغة الناس العامة يفهمون منها من حارَبَ أي من قاتل، ولذلك يأتون إلى كتب الفقه ليبحثوا عن كلمة {الحربي} لِيُفَسِّرُوها بما جرتْ به العامة بهذا اللفظ، ما جرتْ به كلمة المعاصرين من هذا اللفظ، وليس على مدلول ما تَواطَأَ الفقهاء عليه من كلمة الحربي، وأن الحربي هو كلُّ كافرٍ لم يحصلْ له أمان، فيتلعّبون بهذه الكلمة، فهذا جرى عليه الكثير من المعاصرين حيث علّقوا أحكاما على هذا الكلمات على طريقة الإفساد بهذه الكلمة، و أشبه هذه اللعبة في استخدام الألفاظ في أول لعبة إبليسية في إفساد أديان الناس وعقائدهم، فإن إبليس ما دخل إلى نفس آدم عليه السلام إلا عندما عامَله بألفاظ جديدة حيث سمّى الله ﷻ له الشجرة بشجرة المعصية، وقد جاء إبليس وسمّاها له بشجرة الخُلْدِ ومُلْك لا يَبْلى، ولذلك إن من البيان لسحْرا، والسحْرُ يُغيِّر ويُفسد على الناظر نظره، وكذلك الكلمات إذا استخدمتْ في غير مجالها ووضعتْ في غير مكانها تؤدِّي إلى

التخييل، كما أن التخييل يقع بسحر الساحر الذي تواطأ مع الشيطان، وكذلك يقع التخييل في العقل من خلال إفساد المعاني لهذه الألفاظ العظيمة. والواجب على المسلم أولا أن يتعلم تلك الكلمات بما نزلتْ عليه لغة العرب. فأول إفساد دخل على الأمة أنها دخل فيها اللحن. فهذا الدين أيها الأحبة دين عظيم لكن له أوعية ويجب أن تكون عظيمة، وإن الشيء العظيم عندما يوضع في الآنية الفاسدة فَيَفْسدُ. وكذلك هذا الدين عظيم هذا هو الحق، هذا هو الهدى، الحق الذي ضدّه الباطل، فهو حق بثباته، حق بصوابه، حق في آثاره على القلوب، وآثاره على حياة الناس. وإن هذا الدين هدىً، والهدى هو النور، هو النور الذي يُعرِّفك بحقائق الأشياء ويدُلُّك عليها، ويَحُضُّك على سُبل الحق فيها، أنت مُهدٍ أي أنت تُبصر عندك نور تبصر به، وهذا الدين هدىً فهو حق وهدىً، حق في ذاته وكذلك نور للآخرين. لكن هذا الحق وهذا الدين حين ينزل على تلك الأواني الفاسدة فإما أن تكون تلك الأواني أوعية لغوية فاسدة وإما أن تكون أوعية نفسية فاسدة. وإذا نزل هذا القرآن على عقل متكلم فاسد وتعامل معه بغير لغة العرب

فإذا ماذا يجرُّه هذا القرآن، وأنتم ترون كبار الزنادقة والكفار يحتجون بكتاب اللهﷻ، ألم يقرأوا قول الله ﷻ:"إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة" فقالوا: البقرة هي عائشة، نزل هذا الكتاب هنا على آنية فاسدة ففسدتْ معانيه في نفوس أصحابه، فهذا الذي قال اللهﷻ عنه:" وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذّكروا إلا أولو الألباب"

فأولا: الأمة فسدتْ في لسانها، فسدتْ في لغتها ولم تعرف مدلولات الألفاظ التي كان يتخاطب بها العرب حيث حجمها البعض وأفسدها عن طرائق فاسدة باستخدام لغة الآخرين وتعاملهم مع القرآن من خلال لغتهم.

أما الأمة الثانية: فهي جهل الأمة بالسنة.

القرآن أيها الإخوة الأحبة كتاب عظيم وجوامع الكَلِمِ فيه، وهي قواعد عامة جميلة، ولا يمكن للمرء أن يفهم كتاب الله ومراتبه إلا بفهمه لسنة النبي ﷺ، إذا السنة شارحة، ومفصِّلة لعمومات هذا القرآن. وجهل الأمة بهذه السنة وبتاريخ هذه

الأمة التي فسرت كتاب الله ﷻ جعل تلك المعاني تقع على قلوب الناس على معنى فاسد.

الواجب أيها الإخوة! قبل أن نجري الأحكام وهي مرتبة تسبق على إجراء الأحكام، وهي مرتبة تسبق أي جماعة تريد أن تتعامل مع الواقع عليها:

أولا: أن تُحدِّد مدلول هذه الألفاظ وأن تُجَلِّيَها، وأن تُذْهب عنها غَبَثها وما دخل فيها من فساد، وأن تُزِيل ما دخل فيها من دَخَن، وأن تُدخِل فيها ما أخرجتْه الأمة منها. أضرب لكم مثالا: لقد شاع بين الناس أن كلمة (مكروه) مثلا لا تفيد شيئا من تلك المعاني التي تدل على أي نوع من الحرمة، فلو سألت واحدا وقلتَ له ما معنى كلمة مكروه؟ يقال لك: حدّها ما لم يُعلِّق الله ﷻ عليه إثما. لأنهم يرون أن الحرام مثلا هو ما نهى الشارع عنه نهيا حازما، وعلَّق عليه إثما وعقوبة.

فكلمة مكروه كلمة شاعت بين الناس، وخفَّ أثرها على قلوب المخاطَبين.

فلو سأل سائل: ما حكم هذا؟ قلتُ له مكروه، فإنه يستملل هذا الذي خفَّ عليه، ويُقْبل عليه وهو لا يشعر بإثم يَحِيْك في

صدره، ولا يشعر أنه يعلَّق عليه نوع من حرج أو نوع إثم لأنه لا يرى الإثم إلا معلقا على من اقترف ما يقال له الحرام، وأما المكروه فليس فيه هذا المعنى وليستْ فيه هذه الدلالة، مع أن كلمة المكروه كما يقول الشاطبي رحمه الله تعالى بهذا المعنى، أي كلمة المكروه حتى وضعها في الأحكام الخمسة، أي ما كانت قسيما للحرام لم تُعرف في كلام السلف، لا في كلام النبي ﷺ ولا في كلام أصحابه، ولا في كلام الأوائل، فإن المكروه ثقلا من الإثم، ويحمل ثقلا من الحرج لو تدَبَّره المرء.

بل كان الأوائل أيها الإخوة الأحبة ! ربما يُطلقون المكروه على الحرام، وكان العالم يقول: أكْره هذا ويقصد به الحرمة، ولكنهم يُحرِّفونه بينما جاء النص خصوصا في الحرمة فحينئذ يطمئنون إلى إطلاق لفظ الحرمة عليه وبينما هو قد اختلف الناس فيه، ولذلك لو قلَّبْتَ كتب السلف كمصَنَّف أبي شيبة رحمه الله تعالى فإنك ترى كثيرا من المحرمات يُعَنْوِنون لها بقول: كراهة باب كذا) وإنما يقصد بها الحرمة، وقد نبّه على هذا جمع من الأئمة منهم ابن تيمية وابن القيِّم رحمهما الله تعالى.

فلفظ الكراهة في لغة السلف ربما يُقْصد بها كثيرا التحريمُ، فأين هذه الدلالة في تلك العبارة "مكروه"؟ بينما هو في نفس من سمعها من الأوائل، وبينما من تطلعها أنت إذا قيل: مكروه ربما يأتي عليها ولا يشعر بالحرج أن فيها الإثم ونوع من الإثم ولا شكّ فيها. لهذا أيها الإخوة ! يجب على الأمة أولا حين تريد أن تخرج عن غَبَثها أن تحدد المصطلحات وأن تعرفها على حقيقتها، عليها أن تتعامل بها من خلال وضع الشارع لها، وبما تعامل فيها السلف لئلا أن تركز الكلمات على غير حقائقها فيصبح العدو صديقا، ويصبح الحبيب عدوا، وأنتم هذا يشيع بين الناس وبين المسلمين، يستخدمون الكلمات في غير موضعها وبالتالي يعلِّقون أحكاما على غير وجهها، وهذا الأمر هو الذي يفسد الأمة، فربما يقاتل الأخ أخاه، فربما يبرأ المسلم من أخيه، وربما كذلك يصالح الرجل ويوالي عدوه وهو لا يدري، فأول أمر في مشروع خروج الأمة من فسادها الذي هو فيه أن تعرف دلالات الكتاب وأن تعرف دلالات السنة، كذلك عليها أن تعرف هذه الدلالات في معانيها المطلقة، ويجب عليها أن تُطبِّقها على واقعها، وهذا هو شأن علمائنا وهذا هو شأن

أكابرنا في تاريخنا، وما من فلان في أمتنا إلا كان هذا نهجه، كيف؟ بَصُر العالم بالعلم قويا في النظر إلى الأمور، وإدراكه للقضايا إدراك ينبُع من حساسيته المغرقة في دلالة هذه الكلمات على موضعها حيث قال أناس لأبي بكر ﷺ، طبعا أبوبكر ﷺ حارب المرتدين ولم يختلف الصحابة بحرب من قال بنبوة المُسَيْلَمة، لكن رجلا يأتي ويقول أنا لا أريد أن أؤدي الزكاة إلى أبي بكرﷺ، أنا أؤدي الزكاة لنفسي ولا أعيطها لأبي بكر ﷺ. تلك مرتبة من مراتب من قاتلهم أبوبكر ﷺ ودخلوا تحت قتال الردة إثما مع الاختلاف في نوع قتالهم حكما. إدراك أبي بكر ﷺ لتلك المصيبة، لتلك الطامة لهذا السهم الذي يريد أن يَنْفَلِت من الجماعة هو إدراك رجل مؤمن المهتدي المبصر بنور الحق. إنه رأى في هذا بداية الفتنة ما لو تُركتْ لجرَّتْ على الأمة الفساد العظيم، وتششتْ جماعة المسلمين، وحينئذ لا يمكن لهذه الجماعة إلى تصل إلى أهداف القرآن ولا إلى أهداف السنة. التتار عندما دخلوا وتكلم الناس فيهم فإن البعض لم يرَ جواز قتالهم. أن يأتي هذا العالم ليبصر دلالة الكتاب ويطبقها على أفرادها وعلى أنواعها في الواقع لم يكن

لها إلا رجال قلة، لم يكن لها إلا رجل قال كلمة الحق سارت بين العلماء وانكشف الحق.

أيها الأحبة! الأمة تعيش في فرقة وتعيش في تنازع وفيها المذاهب، وفيها الأفكار وفيها المناهج وفيها الجماعات. تخرج قضية من القضايا فيضل الناس بها، ويتحدثون حولها. وترى البعض يجعل قائده وهاديه في حل المشكلة، وفطرته لأنه يرى تلك العبارات التي يطلقها شيخ هنا وشيخ هناك، وجماعة هنا وجماعة هناك، وخطيب هنا وخطيب هناك يراها متنازعة، وبتلك العبارات التي تطلق فيها كتابه. الرجل يقول قال الله، وما من شيخ إلا وهو في خطبته وفي فتواه يقول: قال الله وقال رسوله ﷺ وقال العلماء إذا كان كثير التنقل، يكثر السماع بين هذا وهذا فلا يصل إلا إلى الحيرة، يرى يقول لو كان هؤلاء يقولون حقا لما تنازعوا حينئذ يعود إلى فطرته وتلك الفطرة في هذه الأيام مُدَنَّسة بالهواء مدنسة بالمعصية.

وأول ما حُفظ من المحفوظات هو كلام الله، ولم ينشأ في بيئة الطاعة، في بيئة المساجد، في بيئة الجهاد، في بيئة إقامة الحدود، في بيئة سِتْر المعاصي، حفظ العرض، حفظ المال، قوة الإسلام،

فمزاجه وفطرته قد فسدتْ، ومن هنا يأتي التنازع، هذا التنازع الذي يقع في الأمة وبسبب جهلها ما لو علمتْ دلالة هذا المصطلح كيف تُطبِّقه على واقعه، وهذا يَتَطَلَّب العلم، يتطلب من المرء علما وبهذا العلم يكون بصيرا بواقعه، عالما بحال أهل زمانه، وأن لا يكون يعيش في برج عالٍ، يتعامل مع الواقع من خلال كتاب، ومع الجماعات وأحوال الأمة من خلال الرسائل لا بد أن يكون حيا مع الأمة يعيش وسطها، يمارس ما تمارس، فإن الأعرابي كان يدخل على رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فيقول: أيكم محمد، لأنه يعيش بينهم. ولما يسمع أهل المدينة حادثة عظيمة يخرجون إليها من بيوتهم، وفي منتصف الطريق يرون رسول الله ﷺ راجعا، هم ذاهبون ليروا ما حلّ ولماذا هذا الصوت؟ فيرون رسول الله ﷺ .... من المشكلة على فرس ليس له وقاء، وليس عليه شيء، (هنا عبارات غير مفهمومة ومفقودة في بعض أجزائها)

وإذا دعا الناس بعزيمة قدّرها الله على فاعلها بسبب عدم القدرة مثلا أو بسبب معصية مثلا أو أخرج عصا من تحت عباءته ليمارس الجلد على المسلمين.

انظروا إلى قضايا المسلمين وما هو مقدار مشاركة العلماء لقضاياهم العظيمة الجليلة. الأمة تعيش وعاشت حالة مأساوية لا يعلم بها إلا الله في أندونيسيا، قطعت أعضاء الشباب بالفؤوس والسكاكين، وذبحوا بالشوارع وسالت دماؤهم من فعل النصارى، من الذي يتحدث؟ إنهم أصحاب العواطف من الشباب الذين خرجوا بعد خروج من تلك البيئة الآثمة الفاسدة، فأصلحوا بعض فساد فطرتهم، وإلا فأين حديث العلماء، وأنتم تعلمون أن الفتن عندما تأتي ليس لها إلا العالم، وعندما تختلف الصور وتختلف المعالم في داخل الأمة، من الذي يفصل بين الحق والباطل، بين السنة والبدعة، من هو؟ إنما هو العالم. فأين من يقال لهم العلماء، علماء أمة محمد ﷺ؟

تجد سنويات من كليات الشريعة والجامعات الإسلامية، وكل يوم ترى عمامة جديدة، وكل يوم تسمع بمشيخة حديثة، كل يوم ترى صورا وأسماء وأشرطة في كل فنون في تلك الجامعات وتلك المعاهد الآلاف من حملة الشهادات الشرعية الدينية، ومساجد المسلمين لا يخلو مسجد من وجود الإمام، بل إن الصراع على المساجد أمر معروف بين المشايخ، والأمر كما قال

ابن عبّاس رضي الله عنه عن أمر هذا التنازع على إمامة المسملين وعلى مساجدهم، إنما هو كالطيور، وصف ابن عبّاس رضي الله عنه العلماء حين يتنازعون على الدنيا كما هو أمر الطيور حين تتنازع على طعامها وشرابها. فأنت لا ترى مسجدا إلا وفيه إمام وفيه خطيب، أين هذه الكميات الهائلة من قضايا المسلمين العظمى؟ أين هو الحديث عن قضية العلماء؟ أين الحديث عن الأمة والإرادة، وحديث الفعالية عن حلّ قضية الأمة وهي قضية المسلمين في فلسطين؟ أين هو الحديث عن قضية الفتن التي تدور بها الأمة، وتعيشها في مصر، والجزائر، وتعيشها في كشمير، وتعيشها في الجزيرة العربية.

جاء الأمريكان وقد رقائبهم في أفضل أرض وبقعة التي قال عنها الحبيب المصطفى ﷺ لا يجتمع في جزيرة العرب دينان" أين هو الكلام الذي يعادل هذه الفتنة العظيمة، ويقوم لها ويبيِّن شأنها؟ ألا ترون أن الناس يتعاملون مع هذه الأمور الجليلة تعامل الفطرة فقط، ولا يسمعون كلاما وذلك لبعدهم .....

وواحد إمام مسجد وواحد مفتي الديار، وواحد وزير الأوقاف، وواحد موظَّف. أين هو ذلك الرجل الذي يعرف أحوال الأمة؟ أين هو ابن تيمية رحمه الله وأين هو الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله؟ أين أمثال هؤلاء الذين يعيشون مع الناس؟ فلا ترى إلا ألسنة تجلدهم لأنها مركبَّة على عقول تعيش في المطلق، وتعيش في الخيال، ولو وكِّل لأحدهم دجاجة لما أحسن تربيتها، بل إننا نراهم من أعجز الناس في تربية ولده وفي قيادة أسرته، ومع ذلك هو من أعظم الناس تنظيما وكشفا لأخطاء الآخرين. أين هؤلاء الذين يعيشون مع الشباب حين نرى انحرافا عظيما يقع فيه المجاهدون في سبيل الله في الجزائر، نرى انحرافا عظيما، من المسئول عنه؟ من الذي أسقط اعتبار كلمة العلم؟ من صدق الشباب من قلوبهم؟ ولا يسمعون لهم بل ربما عانوا عليهم أي مالوا عليهم بالتكفير والإبعاد، هذه أمراض تنشأ في الأمة لكننا نرى صراعا شديدا على إمامة المسجد، وصراعا شديدا على قيادة الحركة، نرى صراعا شديدا على فتوى. ولا تجد في بلاد عالما واحدا، أين هؤلاء المتصارعون أين هؤلاء الشيوخ من هذه الفتن العظيمة التي أمر الله وتريد حكم الله

تريد لمن يفتيها حتى في المسائل التي يتم بها التعبد كالصلاة والصوم والزكاة، كأحكام المياه.

إذن الأمر الأول هو أن تجرد الأمة تلك المصطلحات مما علِّق فيها من فساد.

ثانيا: أن تعرف الأمة واقعها وأن يكون هذا الرابط ما بين هذا الحكم الجليل الحق المهدي وما بين الواقع ربطا أصوليا على طريقة السلف في استنباط الفقه وفي التعامل مع الناس، ولذلك كان الأوائل هداة وكانوا مهديين.

ألم يقلْ الإمام الزهري: الأمة لا تعرف كيف هو حكم المتأولين من جهة الواقع، لم يقاتل الرسول ﷺ إلا كافرا، ولم يقاتل أهل الإسلام بعضهم بعضا، فما يعرف الناس كيف يقاتل أهل التأويل. انظروا إلى علي ﷺ كيف كان عزاما في هذه القضية، ولذلك في الحديث الذي حسّنه بعض أهل العلم: يا علي إنك ستقاتلهم على تأويله كما قاتلتَهم على تنزيله ولذلك عليّ قاتل الخوارج على تأويله كما قاتل رسول الله ﷺ الكفار على تنزيله هذا هو شأن العالم حين تنزل الفتنة وحين تعم الطامة وهناك من يقول: أنا أرفع يدي، هذه فتنة سأجلس في بيتي، في ...

بيتي وحينئذ يكون الفساد العظيم حتى في تحديد معنى كلمة فتنة، أي فتنة، متى تكون الفتنة التي يجب على المرء أن يعتزلها؟ ومتى تكون الفتنة التي يجب على المرء أن يكون في وسطها؟ وفي ملماتها فإذا مات مات شهيداً حين تخزى في بيته ويُراد منك أن تستطرب عرضك فحينئذ تجلس في بيتك وتقول هذه الفتنة حين تأتي الباقية.

كل يرفع راية الإسلام على حقيقته ولا تعرف من المُحِقّ ومن هو المُبْطل، أو يتقاتلون على أمر الدنيا، أما حين يكون الأمر بين أهل الحق وبين أهل بدعة، وبين أهل الإسلام وبين أهل الكفر حينئذ إن من الفتنة أن تترك هذه المعاملة للجَهَلة ليقودها على غير سبيلها، إذن أيها الإخوة الأحبة إنما هو مطلوب أولا: أن تحدد الأمة وأن يحدد علماؤها تلك الألفاظ الجليلة في كتاب الله. ما معنى الجاهلية؟ ما هو الطاغوت؟ ما هو الإيمان؟ ما هي تلك الأحكام وقد نبّه علماؤنا كثيرا على هذه القضية وشدّدوا عليها، ورأوا أن الفساد هو مدخل إليها، انظروا إلى ألفاظ قالها سيد قطب عليه رحمة الله، انظروا إلى هذه الكلمات التي قالها على سبيل يتذوق كتاب الله على سبيل

رجل إديب كيف تعامل الناس بها وأفسدتْ في عقولهم حين يتعاملون معها. إن كل من أراد خطاب الأمة بغير الحكم الشرعي وبغير ألفاظه تعلم أنه يخرج من المواجهة، وشأنه هو شأن الرجل الفقيه الجاهل الذي جلس بين الناس فجاءه رجل وقال: شيخَنا! سقطتْ فأرة الليلة في بئري، هو يريد الحل، الفأرة سقطت في البئر وماتت فما حكمها؟ الشيخ لا يدري قال له يا بُنَيَّ: لماذا لا تغلق البئر حتى لا تسقط، الفأرة سقطت لا تدري هذا الرجل إنما يجيبه، وهذا شأن الكثير من المشايخ يسأل عن حكم الله فيتعلق بماذا؟ بجلد السائل، يسأل عن دين الله ﷻ في الواقع .....

ولذلك خرجوا علينا بعبارات: الإسلام المناري، فكر الإسلام، تنوير الإسلام، الإسلام المستنير، وكلها تريد أن تضطهد من الألفاظ الشرعية التي تنشأ موقفا وإرادة. إن تلك الكلمات التي يطلقها الكثير لا تنشئ حكما، لا تنشئ حركة، لا تنشئ إرادة، لا تنشئ موقفا. لا بد أن نتعامل مع الواقع حين نطلب موقفا من المسائل أو نطلب من الأمة أن نقدم لها ألفاظا محددة لتنشئ بعد ذلك اللفظ. أما تلك العبارات الموهمة فإنها لا

تصنع حركة ولا تحرك الأمة، وهذه يستخدمونها لستر جهلهم كما هو شأن الفقيه الذي صار يسأل السائل لماذا لم يغلق البئر حتى لا تسقط الفأرة لستر جهله لأنه لا يعرف مدلول هذه الألفاظ فيستخدم هذه العبارات العامة المُعَوّمة، ومن أجل أن لا يحاسب ولا يراجع ما لو ظهر الأمر على غير مراجعة أو على غير اتفاقه، من أجل أن يبقى هو الرجل الذي لا يخطئ. وأما أصحاب المعمات المشايخ والشباب الذي يطلبون في غبار الحروب والدماء هؤلاء هم أكثر وأوضح مَعْلما، الخطأ فيهم لأنهم يمارسون عملا محددة، هذا يقاتلونه، هذا يوالونه، هذا يحبونه، هذا يبغضونه، حينئذ إذا ظهر الخطأ يكون واضحا وهؤلاء هم الذين تمارس عليهم عملية الجلد وعملية التأنيب وعملية الضرب من قبل أصحاب العمامات الذين يريدون بها أن يكون أهل فكر وأهل نظر ومرجعية من غير خوض في دماء، ومن غير خوض في أعراض ومن غير خوض وبلاء ونتيجة تترتب عليها البلايا العظيمة، إذن ما هو المخرج من هذا كلِّه؟

أولا: أن تحدد الأمة هذه الألفاظ بمفاهيمها الصحيحة. ما هو الكفر؟ أليس عارا أن نسمع جماعة أهلها سنين طويلة فيما بينهم، فإذا وقعت الفتنة وإذا هم لا يعرفون مدلول كلمة الكفر وهو أساس إيمان المرء أن يكفر المرء بالطاغوت، فكلمة الكفر هو أول كلمة يجب على المرء إذا أراد الإسلام أن يفهمها كما يفهم كلمة الإسلا. إن كلمة الكفر، كلمة الإسلام، كلمة النفاق، كلمة الجاهلية، كلمة الزندقة هذه ألفاظ يجب على الأمة أن تحددها ثم أن تعرف على من تقع، ويقع الخطأ، الاجتهاد يقع فيه، بعض الصحابة كأبي طفيل عامر بن قاتل تحت راية المختار خدع بما رفع المختار من راية الانتصار لأهل البيت، فقاتل هذا الصحابي معه، يقع الخطأ هو أمر اجتهادي ولكن العالم يعيش في ويبصر تحوُّلات الأمور كيف تصير إلى هنا أم إلى هناك، يفهم الواقع يحدد ما هو فيه حتى لا يصاب بالانتكاسة ويُدخل الأمة في حروب زائفة، في حروب مستهلة.

في قضايا لا تخدم دين الله ولا تصلح لحل قضاياه ولا تخرج الأمة من تيهها ولا من فتنتها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الحمد لله والصلاة على رسول اللهﷺ

أيها الإخوة الأحبة ! هذا هو الإيمان على العلم ولا توحيد بغير العلم.

وأول الفروق هذه الكلمة التي تنجي صاحبها من النار وتجعله من أهل الدخول في الجنان هو أن يكون المرء عالما، وإن أول العلم هو هذا أن تبصر الطريق أن تعرف الحق كما هو، محددا مميزا فلا تختلط عليك المعالم. ولا تلعب ألفاظ في ذهنك ولا تمارس عليك عملية الخداع بأن تستخدم العبارات الرائعة الجميلة في ديننا في غير موضعها. أن تستخدم كلمة الجهاد، انظروا كيف استخدمها أعداء الله، كيف يتقاتل الأمة بعضها بعضا في سبيل الطاغوت ويسمونه جهادا، حين تنشأ المعارك بين هؤلاء الحكام الكفَرة المرتدين في بلادنا، ألا يرفعون راية الجهاد؟ ألا يسمونه جهادا؟ والناس يسيرون تحت هذه الكلمة الطيبة الشريفة الجليلة العظيمة لكنهم يموتون في غير سبيل الله ولذلك يقول النبي ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، إذن الشيطان وجنده إنما يتلعبون بهذه القضايا ليسموها التوحيد.

في تاريخنا كلمة التوحيد، أيّ زور أصابها؟ قال المعتزلة نحن أهل التوحيد، وحورب أهل الإسلام، وسفكتْ دماؤهم تحت هذه الراية لما قال المهدي ابن في المغرب ضد دولة المسلمين، دولة المرابطين التي أنشأها يوسف بن تاشفين على رحمة الله، فلما أراد أن يُؤلِّب الناس ضد هذه الدولة السنية المباركة رفع كلمة التوحيد، وسمّى أعداءه بالمشركين والمُجَسِّمة، وانضمتْ إليه طوائف من البربر البدو الذين لا يعرفون دين الله وصاروا يقاتلون أهل الإسلام لأنهم أهل وثنية وتجسيم وهم أهل التوحيد. انظر إلى هذه العبارة المباركة كيف وضعت على غير أهلها، انظر إلى كلمة" الله أكبر" كيف تستخدم في غير موضعها فيغتر فيه من يغتر.

انظر إلى دولة التوحيد المزعوم، كيف طوائف من المشايخ ومن المدنيين إلى ولاتها وإلى محبتها للدفاع عنها لأنها رفعت شعارا جميلا، انخدع به من انخدع ولذلك يقول ربنا ﷻ: "وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين" كم من آية فيها كشف المنافقين وبيان ضلالاتهم، كم من أحاديث تبين ذلك.

ما هي صفات الكافرين وما هي صفات المؤمنين؟ على من يتنزل الشياطين وعلى من تتنزل الملائكة؟ هذا التفصيل كله عميتْ عنه الأمة، وجهلتْ سبيله، وصارت تتبع الشعار وتسير وراء الكلمات التي تستخدم في غير موضعها. وحين أراد أعداء الله أن ينفِّر الناس من المسلمين قالوا: أصولية فصارت تلك الكلمات تنزُّلٍ واستنكار، قالوا: إرهابيون هؤلاء، وانظر إلى هذه الكلمة وما تحمله من عصبية حين تطلق على أهل الإسلام والمجاهدين. إرهابي؟ أو يقال: متطرف، انظر إلى استخدام أهل الإسلام لها كما يستخدمها أعداء الإسلام ضد إخوانهم. انظر إلى عدم معرفة الموازين بين

ومشايخ الزمان، ومفتي القنوات الفضائية كيف يوالون الرافضة، كيف يوالونهم ويمدحونهم فإذا جاء شباب الإسلام يقاتل أعداء الله قالوا عنهم خوادم. ولو قارنْتَ ما بين الخوارج اعتقادا على فرض صوابهم وليس قولهم من الصواب في شيء، فمن هم شر في دين الله؟ هؤلاء الروافض الذين قالوا بكذبات واضحة في دين الله. وبين هؤلاء الخوارج،

وانظروابين البراءة من هؤلاء لا يرضون بهم اجتماعا، بل يرفض الواحد منهم أن يقول كلمة طيبة في حق هؤلاء الشباب، حتى إنه لا يقول كما يقول رسول الله ﷺ، يقرؤون القرآن، لا يقول يقرؤون القرآن بل ربما شاركوا أعداء الله في نبذهم وسبِّهم وتلبيس العيوب عليهم، وما يروا خبرا تلوح به الصحف كذبا وزورا إلا وتلقّوه وأشاعوه حتى صار في أذهان الناس حقيقة، فانظر بين التوازن ما بين أعداء الله ما بين المرتدين، ما بين قولهم في أعداء الله من النصيريين في سوريا، وبين أعداء الله ﷻ من البعثيين في العراق، وما بين الزنادقة والمرتدين في الجزيرة، وما بين العلمانيين صراحة بكفرهم في الجزائر وفي تونس وما بين المرتدين الذين جرأوا يوما لما فتحتْ لم السياسة من إعلام حكم الله فيه –قذافي–.

انظروا كم سمعتم بالله عليكم ضد هؤلاء من عبارات من المشايخ وأصحاب اللهفات، وانظروا إلى هذه الكلمات التي تفيض بها الأشرطة كالبحر الزخار، أو تفيض بها الصحف، أو تؤلف عليها الكتب. انظروا إلى تقديرهم حتى لو أصابوا وهم بلا شك مخطئون مخطئون لكن في هذه المنظمات لتعرفوا

أن الأمة ما زالت تقتل بعضها بعضا وما زال البلاء فيها وما زالت لم التفريق بين الوجه القبيح وبين الوجه الحسن، بين من أراد الحق فأخطأ كما قال علي ﷺ وبين من أراد الباطل فأصاب. حتى هذه لم يستطع لها تفريقا. حينما أنت ترى الأمة في تتفاءل تفاؤلا صحيحا في قضاياها لأنها تعيش حيرة، ومن اهتدى فيهتدي بفطرته، وفطرته قد غيِّبتْ وأفسدتْ وصار عليها كثير من الران. نسأل اللهﷻ أن يصلح أحوالنا وأن يرزقنا علما نافعا.